تنفرد بموضوعة الانتفاضة، او بجزئيات فعل المقاومة الجماهيرية اليومية للاحتلال.

وعلى الرغم ممّا حملته الرواية من تفاصيل ودلالات تسمو، في بنيانها اللغوي، على الواقعي، رأينا، في المقابل، ان اسطورية ابطالها لا تجاري، أو تصل الى، ملامسة اسطورية ابطال الانتفاضة، وشعبها، في الكفاح عشرات السنين، الّا ما ندر. هذا على الرغم من ان غالبية الجزئيات والتفاصيل برزت محمّلة برؤى، وبانعكاسات، للقيم الانسانية، والسياسية، والاجتماعية، حتى بدا الامر وكأن كل شخصية في الرواية تصلح لأن تكون نموذجاً لبطل في رواية مستقلة.

ولم يسع شحادة، في روايته، أبداً، الى تمييع الواقع، او اختزاله، أو الاختلاس منه، عبر تسليط الاضواء على بقعة مشرقة فيه دون غيرها؛ بل، على العكس، تعامل معه بأمانة، ودقة، حتى لأخاله كان صادقاً في تصوير شخصية البطل (الدكتور باسل) الى درجة ان قّوته كادت توازي ضعفه.

امّا على المستوى السياسي، فان الشيء الاهم الذي تميّزت به الرواية هو محاولة المقاربة بين ذات الاحتلال، والذات المحتلة، عبر نسيج من المفاهيم يسعى الى تحقيق التوازن الانساني، دون التخلّي عن الشروط السياسية، والانسانية لعدالة الحق الفلسطيني في اقامة الدولة المستقلة. ولكن منهجية السياسة الاسرائيلية في الرواية (وهي كذلك في الواقع) بدت مُجْهِضة لكل المحاولات العادلة لجهة السلام، واحلاله، في معادلة الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي.

«الطريق الى بيرزيت» تشي بدلالاتها اللغوية، والايحائية، بحتمية انتصار الوطن الفلسطيني، على اعتبار ان شعباً بأكمله ينشد الحرية على أرضه. يبقى القول ان رواية ادمون شحادة سبقت الانتفاضة، وحملتها، في طيّات صفحاتها:

« ـ ستنفجر التظاهرات يوماً ليس ببعيد، ولن تتوقف بعدها.

«فقال باسل: ستكون انتفاضة عارمة.

«واردف سمعان قائلاً: فليحفظنا الله، وليكن في عون هذا الشعب المسكين.

«فصاح باسل: بل هذا الشعب البطل»(٥٠).

«احمد محمود والآخرون»

لعلّ السمة الابرز التي تتمثّل في رواية زكي درويش «احمد محمود والآخرون» هي ارتقاء نثرية النص الى مصاف شعريته. وبذلك تسلسلت الرواية عبر موسيقا، وايقاع، الكلمات، كأصوات اجراس مقبلة من البعيد، من هناك، من بيت ساحور، أو القدس، او الناصرة، لتنقل معاناة واقع شمولي فلسطيني تحت الاحتلال في الضفة الفلسطينية وخارجها في الشتات: «فيمتد امامه مرج من القمح. تنطلق الحروف في سماء الغرفة رفوفاً من العصافير، تتشكّل كلمات، تهبط على جدار القلب»(٥١).

ان نص رواية درويش له عدة مستويات كتابية؛ وبذلك يمكن قراءته وفق احتمالات عدّة أيضاً. فهو مقطوعات صغيرة (قصص قصيرة) اندرجت لتشكّل على الصعيدين، الفني والمضموني، عائلة واحدة تعدّت فيها مستويات الوعي المعرفي، والعاطفة، فدخلت باب ديالكتيك تصوير الرؤيا وتعميمها، حتى بدت كأنها تعبّر عن الحالة الفلسطينية، بعمومياتها وخصوصياتها، وفي معظم الامكنة الجغرافية.

وكل فرد من أفراد هذه العائلة له حلمه متعدد الخصوصية؛ الّا ان هذه الاحلام